

النزعة التاريخية

Historical tendency

اليامين بن منصور^{1*}، المركز الجامعي بريكة، (الجزائر)،

lyamine.benmansour@cu-barika.dz

يسمينة برعودي²، المركز الجامعي بريكة، (الجزائر)، yberaoudi@gmail.com

تاريخ إرسال المقال: 07-08-2022. تاريخ قبول المقال: 17-11-2022

الملخص: يتناول هذا المقال قضية مركزية في الفكر السوسيولوجي الغربي هي النزعة التاريخية، والتي لاقت معالجة مستفيضة في الفكر الغربي، وإن وقعت في مشكلات لم تتمكن من تجاوزها. والتي انتقلت إلى الفكر العربي الإسلامي عن طريق الحداثيين العرب ولم تلق نفس الاهتمام في الفكر العربي الحديث. كونها مبنية على مسلمة محل خلاف جوهري أساسها أن ما كان يبدو مطلقا متعاليا على التاريخ أصبح تاريخيا قابلا للتغيير. والهدف الذي يصبوا هذا المقال بلوغه، هو تفكيك عناصر النزعة التاريخية بالشرح والتحليل، سواء في السوسيولوجيا الغربية أو في الفكر العربي الحديث.

الكلمات المفتاحية: التاريخية؛ التاريخانية؛ النزعة التاريخية؛ الفكر الحديث.

Abstract: This article deals with a central issue in Western sociological thought, which is the historical tendency, which has received extensive treatment in Western thought, even if it has fallen into problems that it has not been able to overcome. Which moved to Arab Islamic thought through Arab modernists and did not receive the same attention in modern Arab thought. Being based on a fundamentally disputed postulate that what seemed absolute and transcendent over history has become historically subject to change. The goal that this article aims to achieve is to dismantle the elements of historical

* اليامين بن منصور

tendency through explanation and analysis, whether in Western sociology or modern Arab thought.

Keywords: historical; Historicism; historical tendency; Modern thought.

مقدمة: التاريخية بناء معرفي اعتمدت كمقولة مركزية في انتقال الفكر الغربي إلى مرحلة الفلسفة الحديثة*، وأخذت بعد ذلك تنتشر، وتجلت الحاجة إليها بفعل التطور الذي عرفته العلوم الإنسانية، واستفحال نزعة الحداثة ثم ما بعد الحداثة.

كمفهوم تقضي إلى أن كل شيء م موقع في التاريخ بما في ذلك الحقيقة، وكانت المشكلة العامة مع التنوير، ومن وجهة نظر التاريخانية؛ هي أنه -التنوير- ظل مدينا لتراث العصور الوسطى، الذي يتظاهر بالتغلب عليه، كان علم لاهوت العصور الوسطى يتطلب دائما مصادقة متعالية على جميع القيم الاجتماعية والسياسية والأخلاقية. وعلى الرغم من أن التنوير قد أزال الزخارف الدينية لمثل هذه المصادقة المتعالية؛ فإنه استمر في البحث عنها بمصطلحات أكثر دنيوية، سواء أكانت القانون الطبيعي، أم العقد الاجتماعي، أم العقل الإنساني الكلي، أم الطبيعة الإنسانية الثابتة.

أراد جميع مفكر عصر التنوير (الفلاسفة الفرنسيين، والتنويريين الألمان، والمفكرين الأحرار الإنجليز) إيجاد نظرة أرخميدسية أبدية وكلية، يمكنهم من خلالها الحكم على جميع المجتمعات والدول والثقافات الخاصة، إلا أن هذه النظرة لا يمكن أن توجد¹. وهي الإشكالات التي وقعت فيها التاريخية ولم تتمكن من تجاوزها.

وإن استثمرت بشكل تداولي بامتياز في الغرب، لا سيما في المجالين السياسي والإيديولوجي، وانتقلت الآن إلى الفضاء الفكري العربي، بغرض أن تتحو المنحى نفسه كما حدث لدى

*. الفلسفة الحديثة هي فلسفة القرن السادس عشر والقرون التالية، مع ذلك غالبا ما يطلق على باكون وديكارت اسم مؤسسي الفلسفة الحديثة.

-اندرية لالاند، موسوعة لالاند الفلسفية، المجلد الأول (A-G)، تعريب خليل احمد خليل، ط2، بيروت-باريس: منشورات عويدات، 2001، ص822.

¹. فريديريك بيرز، التاريخانية، ترجمة: عمرو بسيوني، مركز نهوض للدراسات والنشر، 2019، ص11.

الغربيين. والذي راهن على إدخالها إلى ساحة الفكر الإسلامي هو الخطاب العلماني العربي المعاصر، ويفهم من هذا أن التاريخانية من إشكاليات الفكر العربي الجديدة. واقتضت معالجة هذه الموضوعة الأخذ بمنهجية نقدية تحليلية، لأنها موضوعة تغلب عليها النزعة الفلسفية الاستمولوجية التي عادت بقوة ضمن الفلسفة الحديثة. واعتبرت التاريخية مقولة فلسفية حديثة.

إشكالية المقال:

أعلن (كارل مانهايم) حين كتب ما يسمى ببيان النزعة التاريخية، أن هذه القوة الثقافية تلخص نظرة الإنسان الحديث إلى الكون، فلتاريخية أهمية قصوى في العلوم الاجتماعية وفي التفكير اليومي على السواء. فمن المستحيل المشاركة في السياسة بل حتى فهم إنسان ما في أيامنا هذه، ولا بد للإنسان الحديث، سواء كان عالما اجتماعيا أم رجلا عاديا، أن يتناول كل الحقائق التي تواجهه بوصفها حقائق ظهرت تدريجيا وتطورت تطورا ديناميا؛ ذلك أن الناس يستخدمون في حياتهم اليومية مفاهيم ذات مضامين تاريخية، كالسلوك الثقافي، والحركة الاجتماعية، وما إلى ذلك، والعقلية الحديثة تتعامل مع هذه الظواهر بوصفها إمكانات في حالة حركة مستمرة، من نقطة زمنية إلى أخرى، وحتى في تفكيرنا اليومي نسعى إلى تحديد موقفنا الراهن في إطار مجال دينامي، وأن نتعرف على الوقت من خلال الساعة الكونية للتاريخ¹.

ولأن التاريخية باعتبارها مذهب في دراسة التاريخ من جهة، ومنظور وخطاب وأداة معرفية ونموذج تفسيري وتأويلي من جهة أخرى -وفي إطار الحدود المعرفية التي تتيحها والتي لا تتعارض مع مسلمائنا- فإنها تتيح إمكانية الانتفاع بها في تقديم مقاربات معرفية لمعالجة

¹. كافين رايلي، الغرب والعالم، ترجمة عبد الوهاب محمد المسيري، ج2، سلسلة عالم المعرفة، الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، 1986، ص 296.

قضايا فكرية راهنة ومحل خلاف فكري، فيما يتعلق بالديناميكة الفكرية. لا في قضايا متعالية قطعية الدلالة قطعية الوجود.

وتطرح قضية التاريخية تساؤلات جوهرية قد تبقى دون فهم واستيعاب حتى وان كانت محاولات الرد مثبتة، نظرا لصعوبة الإحاطة بهذا المفهوم الفكري الحديث الذي لا يزال يثير تساؤلات خاصة في مجتمعاتنا العربية والإسلامية، ولذلك يعالج هذا المقال تساؤلات مباشرة حول معنى التاريخية بالتحديد، وأبرز مبادئها؟ وما معنى أن نصف رؤية أو تصورا ما بأنه تاريخاني؟.

المبحث الأول: نشأة التاريخية

لقد اعتبر بعض الفلاسفة القدماء وخاصة (أرسطو وأفلاطون) أن التاريخ ليس علما، ومنذ تلك الفترة عانى التاريخ في شرعيته ولم ينل لقب العلم الذي منح لغيره من العلوم، لأنه لا يحقق مستوى من المعرفة المشتركة في العلم، فلا يمكن للحقائق العرضية للتاريخ أن تصبح دليلا على الحقائق الضرورية للعقل، وبالتالي ليس للعقل مكان في التاريخ.

وقد كان لظهور المثالية الألمانية في نهاية القرن الثامن عشر دور كبير في شرعنة التاريخ كعلم، فقد أكدت أنه من الممكن تحديد القوانين العامة للتاريخ على أساس العقل نفسه، الذي تعتمد العلوم الطبيعية والرياضية خاصة، على الرغم من وجود اختلافات جوهرية بين معايير التاريخ وأساليبه وتلك الخاصة بالعلوم الطبيعية. فإن العقل يمكن أن يكتشف القوانين الكلية والضرورية للتاريخ كما يفعل بالنسبة إلى الطبيعة، على الرغم من أن هذه القوانين ليست ميكانيكية ورياضية ولكنها غائية وتأويلية. ومن هنا صاغ (هيجل) فلسفة التاريخ، التي تحاول تحديد الغاية العامة لتاريخ العالم في حد ذاته¹.

المطلب الأول: مفهومة التاريخية

فسرت موسوعة لالاند التاريخية على أساس وجهتي نظر:

¹. فريديريك بيرز، المرجع السابق، ص ص 12-13.

أ. وجهة نظر تقوم على اعتبارها موضوعة معرفية بصفاتها نتيجة حالية للتطور يمكن تتبعها في التاريخ.

ب. بنحو خاص، يقال هذا اللفظ على المذهب الذي يرى أن الحقوق شيمة اللغات والعادات، هي نتاج إبداع جماعي، غير واع وغير إرادي، إبداع يتناهى في لحظة انصباب الفكر عليه، ولا يمكن لاحقا تبديله صراحة، ولا فهمه وتأويله بطريقة أخرى غير طريقة دراسته التاريخية، بهذا المعنى تتعارض مع العقلانية¹.

والتاريخانية كلمة ابتدعها (كارل فرنر سنة 1879 Carl Warner)، في سعيه لتوصيف فلسفة (فيكو)، الذي أكد أن العقل البشري لا يدرك إلا ما يصنع؛ أي تلك المنشآت التي تكون العالم التاريخي. كما وصف المؤرخ الألماني (فريدريش مينكه) النزعة التاريخانية بأنها الشعور بأن الحوادث البشرية فريدة ومتطورة².

والتاريخانية حسب عالم الاجتماع النمساوي (كارل بوبر) هي رؤية قديمة على الأقل منذ الفلسفة اليونانية، بمعنى أنها فكرة فلسفية تناولها قدماء الفلاسفة وخاصة منهم الفلاسفة اليونانيين، ومنهم (أفلاطون) في محاولة منه لتفسير التاريخ والحياة الاجتماعية للقبائل الإغريقية وبصفة خاصة الأثينيين³، ولم تعرف رواجاً فكرياً في المجال الاجتماعي إلا خلال القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين، واقتربت بمفكرين اجتماعيين معروفين أمثال هيجل وكونت وماركس وسبنسر... وغيرهم.

وبالمعنى الضيق للكلمة، التاريخانية هي البحث عن قوانين التغيير الاجتماعي أو بصورة أكثر طموحاً عن التاريخ، وهو المعنى الذي أعطاه كارل بوبر لهذه الكلمة. أما المعنى الواسع فتعتبر التاريخانية ميزة مجموعة من النظريات التي تطمح إلى كشف قوانين التغيير الاجتماعي؛ فترى أن التغيير الاجتماعي يخضع إما لقوانين تطورية (كونت)، وإما إلى

¹ اندريه لالاند، مرجع سابق، ص 561.

² عبد الله العروي، مفهوم التاريخ، ط5، المغرب-الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي، 2012، ص 347.

³ كارل بوبر، المجتمع المفتوح وأعداؤه، ترجمة: السيد نفادي، ط1، لبنان: دار التنوير للطباعة والنشر، 1998، ص 21.

قوانين دورية (فيكو وسبنغلر)، وإما لضوابط إيقاعية (سوروكين)، وإما إلى قوانين إعادة الإنتاج (كارل ماركس)¹.

فالأولى طريقة للبحث في حين أن الثانية تقرر حتمية التطور، تنفي حرية الفرد، تتحاشى الأحكام الأخلاقية، تؤله التاريخ في شخص دولة أو طبقة أو فرد، وتدعوا إلى الرضوخ والانقياد، فهي بالتالي التربة التي تنبت كل أشكال الطغيان والتعصب، هذا المقولات توجد كليا أو جزئيا عند رجال الدين وعند الديمقراطيين، عند أتباع (ماركس) وأتباع (كونت ودوركايم)؛ فالتاريخية كمنهج بحثي تؤدي حتما إلى التاريخانية (النزعة التاريخية) كاتجاه فلسفي، وبالتالي نستطيع أن نقرر أن التاريخانية هي فلسفة كل مؤرخ يعتقد أن التاريخ هو وحده العامل المؤثر في أحوال البشر.

المطلب الثاني: مبادئ التاريخية:

على الرغم من أننا لا نستطيع تعريف التاريخانية من خلال مذهب معين، أو رؤية كونية معينة؛ فإنه يمكننا أن ننسب إليها بعض المبادئ الأساسية، إن هذه المبادئ متأصلة في برنامج التاريخانية، ومفهومة ضمنا في محاولته لجعل التاريخ علما، فهي جزء من التصور التاريخاني لأساليب المعرفة التاريخية ومعاييرها وأهدافها.

1. أكد التاريخانيون على استقلالية العالم التاريخي، وذلك بالتطابق مع إيمانهم باستقلالية المعرفة التاريخية، ووفقا لهذا المبدأ، يجب أن يفسر كل ما يحدث في التاريخ في التاريخ، ووفقا للظروف التاريخية المحددة، يستبعد هذا المبدأ مبدأين بديلين:

-الميتافيزيقا أي شرح الأحداث بواسطة أهداف خارج التاريخ، مثل غايات العناية الإلهية.

-الطبيعية أي شرح الأحداث التاريخية كجزء من الطبيعة ووفقا لأساليب العلوم الطبيعية.

¹ ر. بودون، وف بوريكو، المعجم النقدي لعلم الاجتماع، ترجمة: سليم حداد، ط2، لبنان-بيروت: مجد المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، 2007، ص131.

ومن ثم فإن التاريخية نظير للطبيعية، فتماما كما تؤكد الطبيعية أن كل حدث في الطبيعة يمكن تفسيره وفقا لأساليب العلوم الطبيعية؛ فكذلك تؤكد التاريخية أن كل ما يحدث في التاريخ يمكن تفسيره وفقا لأساليب التاريخ.

ترفض الطبيعية والتاريخانية كلاهما الرجوع إلى العالي أو الفائقية، أي محاولات تفسير شيء ما في الطبيعة أو التاريخ بشيء خارج نطاق الطبيعة أو التاريخ، ولكن بالنسبة إلى التاريخاني، فإن الطبيعة والتاريخ ليسا بمتشابهين.

2. ثمة مبدأ تاريخاني أساسي آخر، وهو أن كل شيء في العالم الإنساني - الدولة والمجتمع والأخلاق والأدب والعلوم - هو جزء من التاريخ، يبدو هذا المبدأ تافها -من الواضح أن الأعمال الإنسانية تحدث في الزمن، إلا أن التاريخانيين قد أضفوا عليه معنى أعمق، فقد كان ذلك يعني، أولا: أن جميع القيم والنظم الإنسانية تتغير، بحيث أنه لا يوجد شيء أبدي في العالم الإنساني. هذه النقطة موجهة ضد ميلنا الطبيعي إلى إضفاء الصبغة الأبدية على قيمنا ونظمنا، كما لو كانت حقيقة للإنسانية عموما، وفي كل وقت يذكرنا التاريخانيون أن جميع القيم والنظم نتاج الزمان والمكان، وأنها أيضا ستختفي في التاريخ، وكان ذلك يعني ثانيا: أنه يجب فهم كل شيء في العالم الإنساني في سياقه الاجتماعي التاريخي المحدد.

يؤكد التاريخانيون على جذرية السياق -التبعي لجميع الظواهر الاجتماعية- التاريخية، أي إنهم اعتقدوا أنه لا وجود لها من دون سياقها المحدد، بحيث إن هويتها قد تتغير في سياق مغاير، وهذه النقطة موجهة ضد ميلنا الطبيعي إلى افتراض أن الظواهر الاجتماعية- التاريخية كما لو كان لها هوية مستقلة عن سياقها؛ يعلمنا التاريخاني أننا كلما أصبحنا أكثر واقعية، أي كلما تعرفنا أكثر إلى موضوعنا؛ وجدنا أن هويته تعتمد على سياقه، إن استقلالية العالم التاريخي- الاجتماعي، والتاريخانية التامة لعالم الإنسان هما المبدأان الأساسيان للتاريخانية. وبشكل أو بآخر سيجري التأكيد عليها صراحة أو ضمنا من قبل جميع

التاريخانيين الرئيسيين، بمن فيهم هيجل وماركس والمثاليين الألمان، ومن ثم فإن مزيداً من التعميمات سيكون مجازفة كلما ازدادت المبادئ التي نضيفها؛ ازدادت التفاصيل التي نقدمها، وازدادت احتمالية فقداننا دعوى التعميم¹.

المبحث الثاني: التاريخية الغربية:

ليس من السهولة بما كان البحث عن الجذور التاريخية للتاريخية الغربية أو التاريخانيين الغربيين، لكنه يمكن اعتبار أغلب المفكرين الغربيين أنهم تاريخانيين، أي أن التاريخية موجودة بكل مقوماتها في الفكر الغربي، لسبب وجيه مبني حول مفهوم التاريخية أو الفكر التاريخاني، فكل دعوى فكرية لنقد حقبة أو تصور فكري معين، يمكن عدها دعوى لصالح إرساء قواعد الفكر التاريخي؛ فإشاعة فولتير لفكرة العهد الوسيط كعهد ظلم وظلمات، وذلك حينما استهزأ (بمونتسكيو) لأنه سود بدون أي هدف إصلاحي صفحات عن القانون الفيودالي الجرمانى، تعد وجهة نظر تاريخانية. حتى أولئك المفكرين الذين يعدون مصلحي عهد النهضة وفلاسفة التنوير كانوا تاريخانيين، أو تبنا النزعة التاريخية، فرغم أن هؤلاء يؤمنون بحق مطلق ويدافعون عن حقائق وقيم صالحة -لكل زمان ومكان- يرفعون شعار التعددية والموضوعية لإضعاف الخصم (كنيسة روما)، دون أن يتصوروا أن النقد نفسه قد يطالهم يوماً (ما بعد الحداثة)، لم يدركوا أن التقليد جزء من التاريخ وله بذلك موضوعيته. وفي ذات السياق يريد (جون جاك روسو) إعادة بناء المجتمع، كما أراد (ديكارت) إعادة بناء العقل، انطلاقاً من مسلمات بديهية قطعية، أولها أن الفرد حر عاقل، وأنه يتعاقد طبيعياً مع أمثاله لتأسيس نظام اجتماعي يحفظ لكل عضو مشارك فيه الحقوق التي كان يتمتع بها من قبل، هذا هو البند الأساس في العقد، وهو الأصل والمقياس، به يحكم على كل نظام قائم

¹. فريديريك بيرز، المرجع السابق، ص ص 9-10.

بالصحة والبطلان، بهي بدا التاريخ الحق، وهكذا يلغى من سجل الإنسانية القسم الآخر من أحبار الماضي¹.

فمنذ أن طرح (هيجل) فكرة في غاية الأهمية في فكر وحياة الإنسان، وكان لها تأثير كبير في العالم الحديث من بعده، وهي فكرة التاريخية، تبين أن البشر من الممكن أن يتصوروا أنفسهم عاملاً فاعلاً في التاريخ، ويتصوروا أن العالم يتفق معهم، إلا أنهم مسيرين بعوامل أقوى من حيث لا يشعرون. هذه القوة الخفية هي روح التاريخ، وهذه الفكرة أيضاً هي جوهر نظرية الأيديولوجيا (لماركس) وأتباعه، والأيديولوجيا الماركسية تعلن أن العقل لا شأن له في حركة الحياة، والعنصر الذي يحرك الناس لتحقيق أهداف معينة هو التصورات التي يتضح بطلانها وسذاجتها عندما تنتهي مرحلتها².

اعتبر السوسيولوجي الفرنسي المحدث (ألان توران Alaine Tourine) بأن التاريخية هي مقدرة كل مجتمع على إنتاج مجاله الاجتماعي والثقافي الخاص به، ومحيطه التاريخي الذاتي.

المطلب الأول: دلالات التاريخية في الفكر الحداثي العربي:

يستند المشروع التاريخاني العربي على التجربة التاريخية الغربية المبنية على مسلمة تاريخية أساسها أن ما كان يبدو مطلقاً متعالياً على التاريخ أصبح تاريخياً قابلاً للتغيير، وهي الحقيقة المسيحية التي هيمنت بشكل مطلق على المجتمعات الأوروبية حتى القرن الثامن عشر، واعتبر الخروج من هذه المرحلة أمراً مستحيلاً، هذا الحدث الصاعق المتمثل في تبيان تاريخية ما قدم نفسه على أساس أنه فوق التاريخ، هو الذي شكل لب التاريخية الأوروبية الحديثة، وهو الذي شغل فلاسفتهم ومفكرهم³.

¹ . عبد الله العروي، مرجع سابق، ص352.

² . عبد الكريم سروش، التراث والعلمانية، ترجمة: أحمد القبانجي، ط1، لبنان-بيروت: منشورات الجمل، 2009، ص171.

³ . محمد أركون، أين هو الفكر الإسلامي، ترجمة وتعليق هاشم صالح، لبنان-بيروت: دار الساقي، 1995، ص65.

يعتبر المفكر الحداثي المغربي عبد الله العروي التاريخية (هيسطوريسم Historsime) تختلف عن التاريخانية، فالتاريخية هي طريقة بحث أو منهج بحثي، أما التاريخانية (هيسطوريسيسم Historicisme) اتجاه فلسفي يقرر حتمية التطور¹. والخطاب التاريخاني حسب (العروي) هو قبل كل شيء نقد للتقليدية الطاغية في المجتمع، ولذلك يقول: "إن التقليد كمنهج عام يتحكم في العقل والشعور والسلوك، هو وسيلة لمحو الفوارق والمميزات الناتجة عن تغير الأحوال وتعاقب الأزمنة، ويعني التاريخ في نطاق التقليد الذكر والتذكير أي الرجوع إلى الأصول"². ويضيف أنه إذا لم يتم تصور الوضع جيدا فإننا نعجز عن فهم المقصود من عبارة ثورة الفكر التاريخي. هذه الثورة الفكرية التاريخية ليست مستحيلة؛ فقد تحققت لدى قسم كبير من الانسانية العاقلة ويقصد بها المجتمعات الغربية.

أما المفكر الحداثي الجزائري (محمد أركون) فيصرح أن مفهوم التاريخية تعنى بدراسة التغير والتطور الذي يصيب البنى والمؤسسات والمفاهيم من خلال مرور الأزمان وتعاقب السنوات. وهو يختلف عن مفهوم التاريخاوية* (l'historicisme) المرتبطة بالفلسفة الوضعية التي سادت القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين، والتي تعنى بدراسة التاريخ وهو محكوم بفكرة التقدم المستمر في اتجاه محدود وثابت ومعروف سلفا، هذا في حين أن مفهوم التاريخية لايتنبأ بأي اتجاه مسبق لحركة التاريخ، وإنما يترك المستقبل مفتوحا لكل الاحتمالات³.

ورهان (محمد أركون) فيما ذكره تلميذه (علي حرب) والذي ندب (أركون) نفسه للدفاع عنه هو إدخال التاريخية إلى ساحة الفكر العربي الإسلامي بكل مراحل وأطواره وبمختلف نصوصه وخطاباته. والتاريخية الأركونية تعني أن للأحداث والممارسات والخطابات أصلها

¹ عبد الله العروي، مفهوم التاريخ، مرجع سابق، ص348.

² المرجع نفسه، ص347.

* يقصد بها التاريخية السلبية التي تعتمد الوضعية، وهي في طرف النقيض من التاريخية الماركسية.

³ محمد أركون، تاريخية الفكر العربي المعاصر، ترجمة: هاشم صالح، ط2، لبنان-بيروت: مركز الانماء القومي، 1996، ص23.

الواقعي وحيثياتها الزمانية والمكانية وشروطها المادية والدنيوية، كما تعني خضوع البنى والمؤسسات والمفاهيم للتطور والتغير أي قابليتها للتحويل والصرف وإعادة التوظيف¹. ويرى محمدى عابد الجابري أيضا في كون الفكر العربي المعاصر يعاني من تبعيات اللاعقلانية التي هيمنت عليه منذ العصور الوسطى وبالضبط مع ابي احمد الغزالي باعتباره احد كبار رجالات الفكر الذين رسخو هيمنة اللاعقلانية عبر استحضار مطلق اللاهوت في علاقة الافراد فيما بينهم وفي علاقتهم مع الطبيعة وتتجلى اسس اللاعقلانية في الفكر العربي المعاصر في هيمنة النموذج الماضوي او السلفي وإزاحة استعمال العقل ونبذ الإبداع. ويرى الجابري أن الخروج من أزمة الفكر العربي المعاصر يقتضي نهضة مؤسسة على القطيعة مع اللاعقلانية عن طريق الرجوع الى عقلانية الإغريق والى مكاسب العصر الذهبي للفكر الإسلامي وعصر الأنوار الأوروبي.

ويفهم من هذه التعريفات تركيزها على الحقيقة، وأن السبيل إلى إدراكها هو التاريخ. وهذا الكلام بمفهوم المخالفة يؤدي إلى إنكار تضمّن الميتافيزيقا للحقيقة. وهذا ما يفهم من تعريف أركون للتاريخية حينما قال إنها: "أحد أطراف الجدلية القديمة بين الوحي والحقيقة والتاريخ". وهذه رؤية بُنيت على التعريفات السابقة، التي يؤول بنا تأملها إلى القول بدنيوية المقدس، وأن الحقيقة كامنة في التاريخ بما أنه وقائع زمكانية، ولا يمكن الوقوف عليها في النصوص، ولذلك فهي أحد أطراف الجدلية مع الوحي حول الحقيقة.

المطلب الثاني: مشكلات التاريخية:

وقعت التاريخية في جبر التاريخ الذي فرضته فلسفة روح التاريخ، بعدما كانت تعتقد أنها تملك عنصر الاختيار والحرية والوعي، إلا أن أيا من هذه الملكات ليست باختيارها، بل أن

¹. علي حرب، نقد النص، ط4، المغرب-الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي، 2005، ص 65.

هناك قوة أخرى تتفخ هذه الروحية في أجساد متحركة بيد تلك القوة الخفية التي تسمى روح التاريخ¹.

ومن المشكلات التي وقعت فيها التاريخية هي ما تسميه الماركسية الاشكال العليا الوعي (الدين والفلسفة والفن)، لا تخضع للحتمية التاريخية، ولا للقطيعة المعرفية التي هي ابرز نتائج التاريخية، فهي تخترق قانون الزمنية وظروف المكان، لتشكل ما هو أبدي مطلق. فهي لا تتحدد بالوضع الاجتماعي بل تملك استقلالاً يجعلها تعلو على المجتمع وأطره. لأنها قادرة أن تبقى حية حتى بعد التغيرات العديدة والعميقة، مما يتطلب تغيرات أكثر عمق من تلك، تغيرات تفصل بينها عصور كاملة.

فكرة التغير في النزعة التاريخية يطرح مشكلة صعوبة الفهم، وإن كان اليقين الوحيد هو العيش في عالم يتغير دوماً، فإذا كان الثبات والاستمرار يسهل عملية الفهم يعني فهم حركة التاريخ، فإن دوام التغير يطرح صعوبات التحكم في فهم حركة التاريخ. وهذه هي المشكلة الأخرى التي بدت النزعة التاريخية في مواجهتها، فثمة فلاسفة في نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين مثل (فريدريك نيتشه، وغيرهم) دفعوا بمشكلة الفهم التاريخي إلى حافة اللايقين، فكل عصر، بل كل حادثة وكل فرد، وهو في نظرهم نسيج وحده².

خاتمة: يستند مفكرو النزعة التاريخية سواء كانوا غربيين أو عرب مسلمين، على مسلمة جوهرية تؤكد أن الحقيقة موقعة في التاريخ وفي التاريخ وحده، بمعنى أن المعرفة نسبية ترتبط بالزمان والمكان، فهي قابلة للتغيير والتجديد والتطور، هذا ما يجعل القيم والنظم تخضع لنفس المسلمة التاريخية. هذا الطرح لا يمكن تعميمه نتيجة الخصوصيات المجتمعية وتحديد الإعتقادية منها، ولا يمكن التسليم بقضايا قطعية الدلالة قطعية الثبوت. ويمكن إجمال أهم نتائج هذا المقال في النقاط التالية:

¹. عبد الكريم سروش، المرجع السابق، ص 170.

². كافين رايلي، المرجع السابق، ص 296.

-تفتح النزعة التاريخية أمام الفكر آفاق التجديد والاجتهاد ، وتمنح له الفرصة لاستدراك الضعف ومراجعة النقص وحتى الخلل الذي يعتري الفكر، لكونه يتحدد بالزمان، والعقل البشري في طبيعته يرفض كل محاولة لتقنين الفكر الإنساني وفق قوالب ثابتة لا تتغير.

-الأفكار السابقة من وجهة نظر النزعة التاريخية هي اجتهاد ضمن البيئة التاريخية التي تتواجد بها، أو ضمن شروطها التاريخية؛ بمعنى أن النزعة التاريخية تتصل بالراهن المعرفي.

-مبدأ التغير والتغيير قائم في العالم الإنساني ولا يمكن تجاهله، يحيل هذا المبدأ إلى أن القيم والمؤسسات وكل المنتجات الإنسانية خاضعة لهذا المبدأ.

-مبدأ القطيعة الفكرية الذي تطرحه النزعة التاريخية، يمكن توظيفه على مستوى المادي والواقعي وليس على الغيبي المتعالي الذي يخصنا كمسلمين.

قائمة المصادر والمراجع:

1. اندريه لالاند، موسوعة لالاند الفلسفية، المجلد الاول (A-G)، تعريب خليل احمد خليل، ط2، بيروت-باريس: منشورات عويدات، 2001.
2. كافين رايلي، الغرب والعالم، ترجمة عبد الوهاب محمد المسيري، ج2، سلسلة عالم المعرفة، الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، 1986.
3. كارل بوبر، المجتمع المفتوح وأعداؤه، ترجمة: السيد نفادي، ط1، لبنان: دار التنوير للطباعة والنشر، 1998.
4. محمد أركون، أين هو الفكر الاسلامي، ترجمة وتعليق هاشم صالح، لبنان-بيروت: دار الساقى، 1995.
5. محمد أركون، تاريخية الفكر العربي المعاصر، ترجمة: هاشم صالح، ط2، لبنان-بيروت: مركز الانماء القومي، 1996.
6. عبد الله العروي، مفهوم التاريخ، ط5، المغرب-الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي، 2012.

7. عبد الكريم سروش، التراث والعلمانية، ترجمة: أحمد القبانجي، ط1، لبنان-بيروت: منشورات الجمل، 2009.
8. علي حرب، نقد النص، ط4، المغرب-الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي، 2005.
9. فريديريك بيرز، التاريخانية، ترجمة: عمرو بسيوني، مركز نهوض للدراسات والنشر، 2019.
10. ر.بودون، وف بوريكو، المعجم النقدي لعلم الاجتماع، ترجمة: سليم حداد، ط2، لبنان-بيروت: مجد المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، 2007.